غونترغراس...
من النازيَّة إلى نصرة قضايانا الإنسانيَّة

لم يكُـنْ أحـد يـدري أنَّ ذلـك الشـاب صاحـب الثمانيـة عـشر عامًـا كان مُشـاركًا في الحـرب العالميـة الثانيـة و مُجَنَّـدًا في فرقـة خاصـة لحراسـة هتلـر وهـي مـن الفـرق الأكـبر دمويـة التـي اشـتهرتْ بارتكابهـا أكـبر الجرائـم وحشـية في تاريـخ البشريـة و المؤمـن بانتصـار النازيَّـة، أنَّـه سـيصبح في يـوم مـا مـن أكـبر المناضلـين السياسـيين و المدافعـين عـن القضايـا الإنسـانية، ذلـك هـو الكاتـب الألمـاني «غونترغـراس» المولـود بتاريـخ ٢٧ أكتوبـر ١٩٢٧ في (دانتسـينغ) البولنديـة، و يُعتـبَر مـن أشـهر الأدبـاء الألمـان، فقـد حـازت أعمالـه عـلى شـهرة عالميـة، تخـرَّج مـن معهـد الفنـون في برلـين ثـم سـافر إلى إيطاليـا و درس النحـت ثـم إلى باريـس و مـن هنـاك انطلقـت أعمالـه الأدبيـة، و يُعتـبَر مـن مؤسِّـسي الأدب الألمـاني لفـترة مـا بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة، حصـل عـلى جائـزة نوبـل في الأدب عـام ١٩٩٩ عـن جُـلِّ أعمالـه، و تُعتـبَر روايتـه» طبـل الصفيـح « التـي نشرهـا عـام ١٩٥٩ و تُرجمَـتْ الى أربـعٍ

و عشرين لغة بما فيها اللغة العربية من أشهر أعماله الأدبية في القرن العشرين، و قد حقَّقتْ نجاحًا كبيرًا و هي ثلاثية مع رواية «القط و الفأر» عام ١٩٦١ ، و «سنين الكلاب» عام ١٩٦٣ ، و عُرِفتْ بثلاثية الدانتسينغ، إلى جانب أعمال أخرى لا تقل شهرة عنها و منها «تحذير جزئي ١٩٦٩ - مشية السرطان ٢٠٠٢ - الرقصات الأخيرة ٢٠٠٣ و الجرذ»، و إلى جانب أعماله الروائية كتبَ في المسرح و الشِعر و له مجموعة شعرية هي «المثلث المعكوس» صدرت عام ١٩٦٠ ، و «المُهرِّج» في ٢٠٠٧ ، و في المسرح مسرحية «الفيضان» عام ١٩٥٧ .

ما يُميِّز غونترغراس أنَّ كتاباته تتمحور حول الحروب و مآسيها، و حَلّل بإبداعه مشاكل الشعوب، يكتب للراهن السياسي، و اشتهر بمواقفه السياسية الجريئة و مناهضته للسياسة الأمريكية و انتقاداته للمجتمع الدولي لصمته عمَّا يرتكبه الاحتلال الصهيوني في فلسطين، و نشر قصيدة عنوانها «ما يجب أن يُقال عام ٢٠١٢». و انتقد حكومة بلاده ألمانيا لتزويدها إسرائيل بالغوَّاصات، ولأنَّه يُكِنُّ عداءً شديدًا لإسرائيل لأنَّها تُهدِّد السِلم العالمي مِمَّا أغضب إسرائيل و دعت الرابطة العبرية للكُتاب المثقفين في العالم الى مقاطعة غونترغراس و خاصة عندما أشاد بالخبير النووي موردخاي فعنونو الذي كشف تفاصيل البرنامج النووي الإسرائيلي السِرِّي عام ١٩٨٦ و ذلك في قصيدة تحت عنوان «بطل من أيامنا «. كماعارض الحرب على العراق داعمًا للعالم الثالث في قضاياه إلى آخر حياته،

و هـو يبـدع في كتاباتـه التـي تثـير التسـؤال الكبـير: هـل مناصرتـه للقضايـا الإنسـانية في كتاباتـه هـي وسـيلة خلاصـه مـن ماضيـه؟ أم أراد أن يواجـه بهـا ماضيـه؟.

روايـة «طبـل الصفيـح» جـرت أحداثهـا في ألمانيـا أثنـاء الحُكـم النـازي، بطـل الروايـة شـخصية فريـدة في الأدب العالمـي يُدعَـى «أوسـكار ماتسرات»، مـن أم غجريـة مـن بولونيـا وأب ألمـاني، يحكـي حياتـه و هـو مقيـم في مصحَّـة الأمـراض العقليـة عنـد سـن الثالثـة جَمُـدَ نمـوُّه الجسـدي و قـرَّر أن يصبـح قِزمًـا و أوهـم عائلتـه أنَّـه سـقط مـن سُـلّم

القبـو عـلى رأسـه ليرفـض النمـو كـي يفضـح عـالم الكبار، و يسـتخدم كثـيرًا بضمـير الأنـا، بأسـلوب غونترغـراس السـردي بجملـه و تفاصيلـه الطويلـة، فيقول:»لقيـتُ ذلـك القـزمَ صاحـبَ الأعـوام الثلاثـة مُتفوِّقًـا عـلى الكبـار في الـذكاء، مُبيِّنًـا بـأنَّ البالغـين الذيـن لا توجـد عندهـم إعاقـة هـم المعاقـون الحقيقيـون « و يقـوم بفضحهـم عـن طريـق التطبيـل و صـوت حنجرتـه القـادرة عـلى تحطيـم الزجـاج وهمـا سـلاحان يصـدُّ بهـما الخصـوم، و هـو نقـد لاذع للنازيين الذيـن حاولـوا تطهـير أنفسـهم مِمَّـا اقترفـوه مـن جرائـم و قتـل أثنـاء مشـاركتهم في الحـرب العالميـة الثانيـة.

وقـد تُـوفي الكاتـب بإحـدى مستشـفيات ألمانيـا في ١٣ أفريـل ٢٠١٥ عـن عُمْـرٍ ناهـز سـبعة و ثمانـين عامًـا.

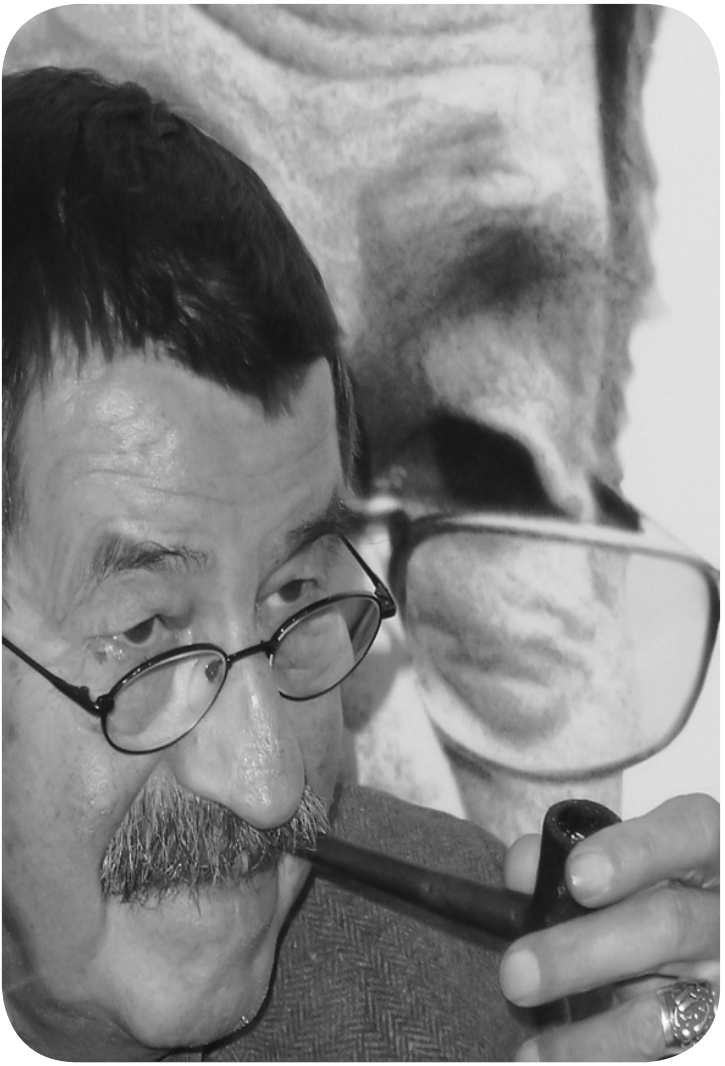

غونترغراس